دور الشعر العربي القديم
في تفسير القرآن الكريم

د. منير سعدي

كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر– 1 –

The role of the poeme in the interpretation of the Quran

By D. Mounir Saadi

Abstract

T*his article deals with the role played by poetry in the interpretation of the Qur'an, and the adoption of many explainers and owners of Qur'an studies poetry and martyrdom with words of the Qur'an, the first of these: The Qur'an Translator, and nation's scientist, Ibn Abbas, who is one of the most prominent and most explainer quotes on poetry stranger words of Qur'an.*

I adopted in this article on the descriptive approach after addressing the views of scientists, writers by the analysis, arrangement and presentation of them gradually, starting introduced the concept of poetry based on writers and critics of language, then introduced Islam's perspective on poetry and poets showing lack of sincerity to believe that Islam and abandon the ten poets, and finished presenting some Attitudes of Ibn Abbass in his martyrdom with words of the Qur'an, and the proofing of Omar Ibn Khattab and Ibn Abbas for the importance of poetry in interpreting the book of Allah as one art of language arts which include the original rules of the Arabic languages.

توطئة

إنه ممّا لا شك فيه أنّ القرآن الكريم بنصّه الموثق وقراءاته المحفوظة يعدّ المصدر الأولّ لدراسة اللغة و فروعها المختلفة والمتعددة، والمؤكد أنّ اللغة التي وردت في كتاب الله تعالى هي أفصح وأفضل وأجود ممّا في غيره، ومعلوم أنّ كل علماء الأمة في مختلف العلوم اللغوية والإسلامية، وخاصة منهم المفسّرون لكتاب الله تعالى رجعوا إلى لغة العرب مِنْ شعر ونثر لمعرفة معاني القرآن الكريم، والوقوف عند ألفاظها وأسرارها و دلالاتها، وبيان جمالها وروعتها، ومن ثم فمن البديهي أنْ يهتم العلماء بالقرآن الكريم وأن يعكفوا على دراسته و يُعنوا به عناية فائقة، فهو دستورهم الأول المبين ، و مفتاح بحوثهم و دراساتهم.

الشعر في العصر الجاهلي

لا بد مِنَ القول في مبتدإ الأمر إنّه لم يحظ فن منْ فنون الأدب العربي بكثرة الدراسات وتنوعها، سواء القديمة منها أو الحديثة، مثلما حظي الشعر العربي، وخاصة الجاهلي منه، إذ يعدّ المرجع الأول الموثوق به لأساليب العرب البلاغية والبيانية، والمصدر الأصيل لمفرداتهم اللغوية وطرقهم التعبيرية، فضلا عما يحويه الشعر العربي من مآثر العرب ومفاخرها، وأحداث أيامها ووقائعها، فهو الوثيقة الرسمية الأولى التي دوّنت تاريخ العرب الوجداني والاجتماعي .

إن الشعر الذي وصلنا إلينا من العصر الجاهلي يمثل دورا راقيا لا يمكن أنْ يكون الشعر قد بلغ إليه في أقل من ألفي سنة على الأقل، غير أنه لم يصل إلينا من ذلك الشعر شيء.

يقول حنّا الفاخوري مؤكدا هذه الحقيقة: «إنّ أقدم النصوص العربيّة الفصيحة الّتي عُثر عليها ترجع إلى الفترة الّتي تمتدّ من القرن الثالث بعد الميلاد إلى القرن الخامس، وهذه النصوص هي الشعر الجاهلي، والحكم الجاهليّة، ولكن من يدقّق في هذه الّنصوص يجدها كاملة مهذّبة، ذات نحو متّسق وصرف منظم، و قواعد عروضيّة

وشعريّة راقية، ولا شكّ في أنّ اللّغة العربيّة قد مرّت بأطوار بعيدة العهد تطورت فيها وتدرجّت إلى هذا الكمال الّذي وجدناه في الشعر الجاهلي»[1].

اتّسع الشعر في الجاهلية على نطاق واسع، فلم يبق مقتصرا على التعبير عن الخيال والوجدان فحسب، بل شمل ذكر المفاخر، ووصف المعارك، وتصوير الأحداث حتى سُمّي بحق «ديوان العرب»، قال ابن سلام الجُمحي: «وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون»[2]، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه»[3].

وانطلاقا مِنْ هذه القيمة السامية، جعل العرب الشعرَ أعلى درجة مِنَ الخطابة، على الرغم مِنْ خطورة وجلال الخطيب، ولكن سلطان الشعر جعل الخطابة تتوارى، يقول الجاحظ في ذلك: «كان الشاعر في الجاهلية يُقَدّم على الخطيب، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم، ويفخم شأنهم، ويهوّل على عدوّهم ومَنْ غزاهم، ويهيب مِنْ فرسانهم، ويخوّفُ مِنْ كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم، فيراقب شاعرهم»[4].

(1) حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1995، ص48.

(2) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، د.ت : 1 / 24.

(3) المرجع نفسه، 1 / 24.

(4) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة:

1/ 241، وينظر أيضا: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى : 1988، ص153.

إنّ هذه المنزلة السامية التي تبوأها الشعر تكشف أثر الشعر في نفوسهم وانقيادهم لسلطانه،

فكان الشعر والشاعر كلاهما من وحي تلك البيئة الجاهلية ينقلان ما تمور به من ألوان الشقاء والسعادة، والحروب والسلام، فكان «الشعر صورة فنية موازية لحياة أصحـابه وأفكارهم وبيئتهم».[1]

إنّ الشعر الجاهلي هو «انعكاس لفطرة الحياة البدوية في الأخلاق والأعراف والعادات والآراء والمعتقدات، فكل شيء يبدو على طبيعته الأولى لم تعمل فيه يد الإنسان لتصقله وفكره ليهذبه، تظهر في شعره الحرية التي عاشها البدوي في صحرائه، قوي الذاتية لا يتقيّد بشرائع ولا قوانين إلا ما جرت عليه العادة [2]»، فكان لخياله مِن ذلك مادة لا يغور ماؤها، ولا ينضب مَعينها، فهام في كل واد، وأفاض منها إلى كل مراد.

مكانة الشاعر في العصر الجاهلي

لقد كان الشاعر الجاهلي ينظم الشعر لحاجة في نفسه، أو لدافع فطري، أو لمنظر طبيعي يهيّج فيه قوّة التصوير، فينشد و يتغنّى، ويتأمل في عفويّة وينظم ويطرب، فجاء شعره مثال حياته، صادقا في عواطفه، تامّا في أوصافه، شديد التأثير، كثير النفوذ، فيحفظه البعض عرضا أو عمدا، ويسيرون به مِنْ حيّ إلى حيّ، ومن جهة إلى أخرى.

(1) حسين شعيب، العرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 2004، ص 96.

(2) أحمد شمس الدين الحجاجي، الأسطورة والشعر العربي: المكونات الأولى، مجلة فصول، العدد:2، 1984: ص48.

لقد بوّأت القبيلة الشاعر المرتبة الأسمى، وقد يفوق زعيمها أحيانا، نظرا لحجم وجسامة المهام التي أناطه بها ميثاق القبيلة، وكل هذا يبرز لنا من جهة أخرى منزلة التلقي. فما سرّ تمجيد الشاعر؟

يجيبُ ابن رشيق عن ذلك قائلا: «كانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر أتتْ القبائل فهنّأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر[1]، كما يصنعون في الأعراس، لأنه - أي الشاعر - حماية لأعراضهم وذبّ عن أحسابهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنّؤون إلاّ بغلام يُولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج...»[2].

إنّ وظيفة الشاعر الأساسية والطبيعية أنْ يكون لسان عشيرته «يحمي عرض بني قبيلته، ويخلّد بلائهم ويشارك في المعارك، راشقا العدو بسهام شعرية لها قوة خارقة للعادة»[3]، ويصنع معرفتها وعلمها، فيتغنى بأمجادها وأيامها وأنسابها وبمعتقداتها، ويحمي شرف الدم والعرق، إنه يمثّل بحق الصورة الحقيقية للجماعية القبلية.

ومع هذه المكانة الجليلة للشعر والشاعر، ازدهر التلقي وتوسعت دائرته، لأنه محر النفوس وباعث انفعالها وحاضِها على الخير أو الشر، ووسط هذه الحظوة التي نالها الشعر والشاعر «أمست مهمة الشاعر في المجتمع العربي أخطر من دور العراف والساحر والكاهن، فتأثير الساحر والكاهن محدود بعالمها، أما تأثير الشاعر أوسع وأبعد بكثير، فإنّ كلماته يتسع تأثيرها ليشمل المجتمع كله، حسب أحوالهم وأزمانهم»[4].

(1) المزهر(بكسر الميم وفتح الهاء): العود الذي يعزف عليه.

(2)ابن رشيق القيرواني، العمدة: ص 153.

(3) حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، دار اليوسف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت. ص59.

(4)توفيق الزبيدي، مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، الطبعة الثانية، 1987 ص 15.

إنّ هذه الوظيفة الجليلة، وتلك القيمة الرفيعة هما اللتان جعلتا الجاهلي يصغي لهذا الشعر ويرهبه، ويحسّ في نفسه أحاسيس الافتخار والقوة خلال تلقيه واستقباله، فالشعر الجاهلي في هذا إطار صورة للبيئة التي صدر عنها أبناؤها بخصائصها وأشكالها ورؤاها و عفويتها.

اللغة و الأدب في العصر الجاهلي

كانت اللغة العربية في العصر الجاهلي تمثل فطرة الشعب بألفاظها وتعابيرها، فالمعجم الجاهلي كان يقتصرُ على التعابير التي كان يحتاج إليها العربي في بداوته و بيئته، فهو يعبّر بألفاظه عن مشاعر نفسه في حزنها وألمها، في سرورها ولذتها، في عشقها وحقدها، في خوفها وأمنها، في سكونها و حركتها، في سلمها وحربها.

إنّ لغة الجاهليين، بما فيها مِن قوّة و خشونة وألفاظ غريبة، «تمثل حياة إنسان ذلك العصر، والتي تُختصر بأشياء معينة يمكن التعبير عنها بأوجز الكلام»[1].

وكانت اللغة العربية في ذلك منقسمة إلى لسانين: الحِمْيري في اليمن في الجنوب، والعَدْنَاني في الشمال، وكانا يختلفان في التركيب وفي بعض الأوضاع والكتابة، مع وجود بعض المتشابهات في الألفاظ لأنهما مِن أصل واحد، والظاهر أنّه لم يصلنا عن لغة حِمْيَر أدب وشعر، لأنّ اللسان الحميري أخذ يفقدُ سيادته بعد أنْ دخلت اليمن تحت سلطة الأحباش ثم الفرس، ومِنْ آلت السيادة اللسان العدناني[2].

ومع انتشار اللسان العدناني، ظهرت بين قبائل العرب لهجات متعددة، و بقيت الألفاظ والتراكيب واحدة، غير أنّ لهجة قريش استطاعت أنْ تفرض نفسها ذلك أنّ مكة كانت أعظم مركز تجاري وديني في المنطقة، فكانت مقصد التجّار والزائرين للبيت الحرام، وهذا الاجتماع لم يكن يخلو مِنْ مناظرات شعرية وخطابية، ومنْ ثم

(1) حسين شعيب، العرب في العصر الجاهلي: ص 89.

(2) ينظر نفس المرجع السابق، ص 87.

كانت لهجتها هي السائدة والنافذة بما أنّ قريشا كانت صاحبة السيادة تجاريّا ودينيّا، بل ذهب الشعراء إلى «انتقاء الألفاظ المألوفة لدى الناس وقتئذ المطابقة للغة المُحكّمين، وذلك كي تفهمها القبائل المختلفة، ويفوز شعرهم بالاستحسان، فعمّت الموضوعات والتعابير المشتركة، وأخذت اللهجات المتباينة تقترب مِنْ لغة زعماء الموسم، وهي لغة قريش»[1].

لقد كان لقريش السيادة في اللهجات العربية، فلقد استطاعت أن تخرج لهجتها الأصلية مِنْ مكامِن الزلل التي تقع به اللهجات الأخرى للعرب، وكانت قريش مِنَ القبائل التي تصهر في بوتقة لهجتها لهجات العرب الآخرين، فتنتقي الكلمات وتستحسنها فتجمعها في لهجتها، وبذلك تشكلت لهجة لقريش على مرور الزمن أفصح من أي لهجة أخرى مع اقترابها من كافة لهجات القبائل في الجزيرة العربية، ولقد السيوطي في المزهر: «كانت العرب تحضر المواسم في كل عام، وتحُجّ إلى البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا بذلك أفصح العرب، وخلتْ لغتهم من مُستبشع اللغات، ومُستقبح الألفاظ»[2]، ولذلك كان الناس يعتبرون أهل قريش أفصح العرب وأفضلهم لساناً، ولقد دأب العلماء السابقون على اعتبار لهجة قريش هي الفصحى ولا شيء سواها[3].

(1) فؤاد البستاني، الشعر الجاهلي: نشأته، فنونه، صفاته، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة: 1983، ص 35.

(2) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1998: 1/ 128.

(3) للإستزادة ينظر: ابن جني، الخصائص: ج 2 ص 13، الصاحبي، فقه اللغة: ص 32، الثعالبي، فقه اللغة: ص 108. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة: ص 59، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 8/ 624 و ما بعدها.

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية

جاء الإسلام واللغة العربية في أوج مجدها، وقمة ازدهارها، وكانت قد وصلت في تلك الحقبة من الزمن- وأعني بها فترة فجر الإسلام - إلى منتهى الكمال والنضوج، وأقصى ما يمكن أنْ تصل إليه مِنْ حيث الفصاحة وقوة البيان، فهي تستطيع التعبير عن كل شيء مهما دقّ وسما، وتستطيع الإفصاح عن خلجات النفوس، ولواعج الصدور، وتصوير المناظر والخواطر بشكل دقيق.

لقد كانت الجزيرة العربية تعجّ بالشعراء والخطباء وعلماء السِيَر والأنساب، والعرب يقيمون الأسواق للأدب والشعر، يروُونه ويتفاخرون به، ويحفظون أجوده، ويتناقلونه مِنْ مكان إلى مكان، ويعلقون أجزله على أستار الكعبة [1]- وهي أعظم الأماكن المقدّسة عندهم - جاء الإسلام واللغة العربية لغةٌ مثالية تنطقها كل قبيلة في الجزيرة العربية ولا يعسرُ فهمها على سائر القبائل، وهي لغة المجتمعات الأدبية ولغة الشعر والخطابة، ولغة المفاخرة والمنافرة، وقد طغت على تلك اللغة لهجةُ قريش، وكانت مِنْ أفصح اللهجات وأكثرها نقاوة وبياناً كما سبقت الإشارة إليه.

وقد جاء القرآن الكريم بلغة العرب مِنْ أهل الجزيرة، باللغة التي يفهمها الجميع و لا يعسرُ فهمها على أحد، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2]، وفي آيةٍ أخرى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

(1) للإ ستزادة ينظر: يحيى شامي، شرح المعلقات العشر، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1994: 5 وما بعدها.

والزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، وأبو بكر الأنباري، شرح القصائد الطوال الجاهلية، دار المعارف بيروت، 1963.

(2) سورة يوسف الآية 02.

(3) سورة فصّلت الآية 02.

لقد جاء القرآن الكريم باللغة التي كان يتحدثُ بها الرسول ﷺ وبلغة قومه مِنَ العرب، وجاءت بمنتهى التبيين والتيسير حيث تؤكد ذلك الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾[1].

ومجيء القرآن على هذا النسق مِنْ فصاحة البيان، وبلاغة التعبير، يدلُّ دلالةً قوية على أنّه كان يخاطبُ قوماً وصلوا إلى درجة عالية مِنَ جمال البلاغة، وروعة البيان، وحُسن التعبير.

لقد وصلت اللغة العربية في هذا العصر إلى قمة النضوج والكمال، وغاية القوة والجمال، من حيث فصاحة التعبير وسلاسة اللفظ وسحر البيان، حتى إن الرسول ﷺ قال: «إنّ مِنَ البَيَانِ لسِحْرًا»[2]، وكان يعجب ببعض الشعر ويستعذبه، وحتى القرآن الكريم وجه اهتماماً خاصاً في تحدّي هذه القوة البلاغية العظيمة بقوة أعظم منها، فقد جاء في الآية الكريمة مِنْ سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3]، وفي آية أخرى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[4].

وهنا يمكنُ أنْ نذكر التركيبة الخاصة المتميّزة لألفاظ القرآن ومعانيه، وفي مجموعة العلاقات المجازية والاستعارية والتشبيهية والرمزية والايحائية بين المعاني والألفاظ، وذلك هو السرّ الأكبر في إعجاز القرآن، فالعربُ أمة بيان، ورجال بلاغة، تُطرِبُهم

(1) سورة مريم الآية 98.

(2) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، بيروت، 1986/ 1407 هـ، كتاب الطب، باب: «إنّ من البيان لسحرا»، رقم الحديث 5434.

(3) سورة البقرة، الآية 22.

(4) سورة هود، الآية 13.

الكلمة، وتهزّهم الخطبة، ويستهويهم الشعر، وقد وقفوا عند بلاغة القرآن باهتين بما عبّر عنه الوليد بن المغيرة أحد زعماء قريش وأعلمهم بكلام العرب شعره ومنثوره: "والله! ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منيّ، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة منّي، ولا بأشعار الجنّ، والله! ما يشبه الذي يقول شيئا مِنْ هذا، والله لقد سمعتُ مِنْ محمد كلاماً ما هو مِنْ كلام الإنس ولا مِنْ كلام الجنّ، وإنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة[1]، وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه ليعلو ولا يُعلى عليه ، وما يقول هذا بشر"[2].

لقد أخبر المولى ﷻ أنّ القرأن الكريم آية مِنْ آياته ، كافٍ في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره ، و آيات مَنْ سواه مِنْ الأنبياء[3].

إنّ بقاء اللغة العربية حيّة الى يومنا هذا مَدِين دون شك للقرآن، فلولاه لبادت هذه اللغة كما بادت اللغات الأثرية القديمة، فالقرآن له الفضل في توحيد اللغة العربية وانتشارها وبقائها، والقرآن الكريم كتاب باهر، مُعجِز ببيانه وبلاغته، أعجز الجميع على أنْ يأتوا بمثله﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[4].

(1) طلاوة: أي رونقا وحُسنا و«طلي»:15/ 10. قبولا. ينظر : ابن منظور، لسان العرب: مادة: «طلى»: 15/ 10.

(2)ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 2006 م : 19/ 72 .

(3)ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى 2008، فصل «في إعجاز القرآن» ص 645.

(4) سورة الإسراء، الآية 88.

كما أسهم القرآن إسهاماً فعّالاً في ظهور معانٍ لم تكنْ معروفةً مِنْ قبل مثل: التقوى والفرقان والكفر والإيمان والشرك والإسلام والصوم والصلاة والزكاة والركوع والسجود وغير ذلك.

ولم يقف الأمر عند هذه المعاني فقط، بل كان للقرآن مضمونه الذي لم يكن يعرفه العرب كالدعوة إلى عبادة الله والبعث والعقاب و الثواب، فشرّع للناس ما ينبغي أنَ تكون عليه حياتهم .

الاستشهاد بالشعر الجاهلي في تفسير القرآن الكريم

يعتبر التفسير مِنْ أقدم علوم القرآن نشأة، فقد واكب نزول الوحي على النبي ﷺ حيث كانت هناك ضرورة ملحّة لحاجة الناس إلى نوع من البيان يتناول ماغَمُضَ من نصوصه، وكان النبيّ ﷺ هو المفسّر الأول للقرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ففي عهد النبيّ ﷺ كان الصحابة يلجؤون إليه ليُبين لهم ما صَعُبَ عليهم فهمُه من القرآن الكريم، فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى كان الأمر في البيان يُردُّ إلى ما أُثِرَ عنه في ذلك، وإلى اجتهاد الصحابة الذين عايشوا التنزيل وأحاطوا بأسبابه، وبرز من هؤلاء عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري و عبد الله بن الزبير[2].

يقول الإمام الشاطبي في مُوافقاته: «إنّ القرآنَ نزل بلسان العرب على الجملة، فَطلَبُ فهمِه إنّما يكون مِنْ هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[3]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]، وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا

(1)سورة النحل، الآية 44.

(2)السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 318.

(3)سورة يوسف، الآية 02.

﴿لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ﴾[1]، إلى غير ذلك مما يدلّ على أنّه عَربي وبلسان العرب، لا أنه أعجمي أو بلسان العجم، فمَنْ أراد تفهّمه فمِنْ جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه مِنْ غير هذه الجهة»[2].

وكما احتفت القبيلة العربية بالشعراء وأشعارهم احتفى المفسرون على اختلاف توجهاتهم وتباين مناهجهم بالشعر، وقاموا بتوظيفه في تفسير النص القرآني الكريم وكشف ما فيه من غريب الألفاظ وغامض المعاني، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، ومن ثم كانت معرفة اللغة وأسرارها شرطًا أساسيًا مِنْ شروط مَنْ يتصدر للتفسير .

لقد دعت الحاجة الرسول ﷺ مع الأيام على تعليم أصحابه وتفقيههم أمور دينهم، ولا سيما تفسير بعض آيات القرآن الكريم التي تحتاج إلى بيان وتوضيح.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾[3].

تدلّ هذه الآية الكريمة في مجملِ معناها على أنّ في القرآن الكريم آيات تحتاج إلى تأويل أي تفسير، ونفهمُ مِنْ قول الله تعالى في هذه الآية: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾، أنّ أهل الفهم والعلم بالدين هم المؤهلون بتأويل القرآن، وهم الذين سماهم الله تعالى بـ «الرّاسِخُونَ في العِلْمِ».

(1) سورة فصلت، الآية 43.

(2) أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، شرحه وخرّج أحاديثه عبد الله درّاز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى 2004: 2 / 305.

(3) سورة آل عمران، الآية 07.

ومع بداية ظهور التفسير بدأ الاهتمام بالشعر في فهم المفردة القرآنية ودلالتها اللغوية، وذلك نظرا لما يتضمنه الشعر مِنْ ثراء لغوي، ولما يحتويه مِنْ خصائص الأسلوب العربي المبين، فقد كان المفسرون من علماء اللغة يحرصون على حفظ الشعر وقراءة الدواوين ودراستها [1].

ومِنَ الأمثلة الموضّحة لمدى توظيف الشعر في كشف غموض الدلالة اللفظية والتراكيب اللغوية في السياق القرآني ما جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾[2]، أيْ قعر النار، ومنها منشؤها، ثم هي متفرعة في جهنم، «طَلْعُهَا» - أيْ ثمرها وسُمّي طلعها لطلوعه- ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ قيل: يعني الشياطين بأعيانهم، شبهها برؤوسهم لقبحهم، ورؤوس الشياطين متصور في النفوس وإنْ كان غير مرئي، ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان، ولكل صورة حسنة هي كصورة الملك، ومنه قوله تعالى مُخبرًا عن صواحب يوسف: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[3] وهذا تشبيه تخييلي[4].

ومن هنا يمكن القول إنه كان لأهل اللغة عناية كبيرة بوضع المعايير والضوابط الدقيقة لقبول الشاهد الشعري في الإستشهاد به أو رفضه بناءً عليها، وبهذا لم يخرج المفسرون في كتبهم عن هذه الضوابط التي وضعها علماء اللغة نظرا للعلاقة الكبيرة التي تربط اللغة بالتفسير[5].

(1) ينظر: عبد الرحمان الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن، مكتبة دار المنهج، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى 1431 هـ، ص 209.

(2) سورة الصافات، الآية 64.

(3) سورة يوسف، الآية 31.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن :2 / 41.

(5) أنظر: عبد الرحمان الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن، ص 209 وما بعدها.

دور عبد الله بن عباس في تفسير القرآن بالشواهد الشعرية

برز الصحابي عبد الله ابن عباس مِنْ بين الكثير من الصحابة في العناية بتفسير القرآن وبيان غرائبه وإنشاد الأشعار لفهم معانيه، حتى دُعِيَ بترجمان القرآن، وعرف بحَبْرِ الأمّة[1]، وكان يجالس في فناء الكعبة فيكتنفه الناس ليسألوه عن تفسير القرآن، وكان يقول: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»[2].

ويمكن أنْ نتبيّنَ مكانة ابن عباس العلمية من خلال علاقته بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان يُجلسه في مجلسه مع كبار الصحابة ويُدنيه منه، وكان يقول له: «إنك لأصبح فتياننا وجهاً، وأحسنهم خُلُقاً، وأفقههم في كتاب الله»، وقال في شأنه: «ذاكم فتى الكهول، إنَّ له لساناً سئولاً، وقلباً عقولاً»[3]. وكان عمر رضي الله عنه يعتد برأي ابن عباس مع حداثة سنه، يدلنا على ذلك ما رواه ابن الأثير في كتابه (أُسد الغابة) عن عبيد الله بن عتبة قال: «إنّ عمر كان إذا جاءته الأقضية المعضلة قال لابن عباس: «إنها قد طرأت علينا أقضية وعضل، فأنت لها ولأمثالها»، فكان يأخذ بقوله، وما كان يدعو لذلك أحداً سواه»[4].

(1) الحَبْرُ هو العالم.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 2/ 55.

(3)الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، د.ت: 10/ 265.

(4)ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة: 3/ 187.

وممّا يدل كذلك على مكانته العلمية، ثناء بعض الصحابة عليه فقد قال عبد الله بن مسعود ﷺ في حقّه: «نِعْمَ تُرجمان القرآن ابن عباس»[1].

أمّا عطاء فقد قال فيه: «ما رأيتُ مجلساً أكرم مِنْ مجلس ابن عباس، أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشِعر عنده، يصدرهم كلهم من واد واسع»[2].

ولعلّ خير ما قيل فيه ما رُوَي عن ابن عمر رضى الله عنهما قوله: «ابن عباس، أعلم أُمَّة محمد بما نزل على محمد»[3].

أما فيما يتعلق بالتفسير- وهو موضوع حديثنا - فما نُسِبَ لكل الصحابة من تفسير لا يكاد يقاس إلى ما نُسِبَ لابن عباس، فهو أكثر الصحابة خوضا في هذا المجال، بل يُعدّ المؤسس الحقيقي لعلم التفسير، فهو الذي نهجه ووضع أصوله، وكثيرا ما كان يعتمد على الشعر القديم في تفسير ألفاظ القرآن الكريم[4] كما تذكر العديد من المصادر، حيث تشير إلى اعتماده على الكثير من الشواهد الشعرية في تفسير آي الذكر الحكيم، بل ويحضّ على الرجوع إلى الشعر العربي القديم؛ ليستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنية الغريبة، فعن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: «إذا قرأ

(1)أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت: 2/ 845.

(2) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت:1/ 56.

(3) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: (5/ 278).

(4) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، الجزء الثاني، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة عشر، ص29.

أحدكم شيئا من القرآن، فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه في الشعر، فإنه ديوان العرب»[1].

ولعبد الله بن عباس موقف مشهور في تفسير القرآن والاستشهاد على كثير من غرائبه بأبيات من أشعار العرب ، من ذلك ما ذكره السيوطي في (الإتقان) بسنده عن نافع بن الأزرق أنه قال: «بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقد جاءه يوما نافع بن الأزرق وهو رأس الأزارقة من الخوارج، ونجدة بن عويمر وهو رأس فرقة أخرى من الخوارج، وقالا له: «إنا نريد أنْ نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسّرها لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين. فقال ابن عباس: سلا عما بدا لكما» [2].

فأخذ نافع بن الأزرق يسأله عن كلمات وجمل من غرائب القرآن، فيفسرها عبد الله بن عباس، فيقول له نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ فيقول ابن عباس: نعم، وينشده بيتا من الشعر القديم شاهدا على التفسير الذي ذكره، حتى جاوزت المسائل التي سألها نافع بن الأزرق مائتي مسألة.

وقد أورد السيوطي مائة وتسعين مسألة من مسائل نافع بن الأزرق وتفسير عبد الله بن عباس لها في كتاب الإتقان في علوم القرآن [3].

لقد كان تفسير عبد الله بن عباس لمسائل نافع بن الأزرق واستشهاده بأشعار العرب على تفسيره الشرارة الأولى في عناية العلماء بشعر العرب القديم والعمل على فهمه وشرحه.

---

(1)سبق تخريجه.

(2)السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 2/ 55.

(3) المرجع نفسه 2/ 56- 88.

و من بين هذه المسائل على سبيل المثال قول نافع: «أخبرني عن قوله: «وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ»، قال: «الوسيلة: الحاجة»، قال: «وهل تعرف العرب ذلك؟» قال: "نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليكِ وسيلة *** إن يأخذوكِ تكحلي وتخضبي[1]

قال: "أخبرني عن قوله: «شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً»[2]، قال: «الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق». قال: «وهل تعرف العرب ذلك؟» قال: «نعم، أما سمعت أبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى *** وبين للإسلام دين ومنهاجا»[3]

ومن مسائله أيضا: «قال، أخبرني عن قوله تعالى: «وحَنَانًا مِنْ لدنا»[4]، قال: رحمة من عندنا، قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت طرفة ابن العبد يقول:

أبا منذر، أفنيت، فاستبق بعضنا حنانيك، بعض الشر أهون من بعض[5]

(1) ديوان عنترة، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية 1983، ص33.

(2) سورة المائدة، الآية: 50.

(3) ورد منسوبا لأبي سفيان في الإتقان: 1/ 120 ، و الأغاني : 10/ 180.

(4) سورة مريم ، الآية 12.

(5) ديوان طرفة بن العبد البكري بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق دربة الخطيب ولطفي الصقال، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت 1975، ص 172.

ومن مسائله كذلك قوله: أخبرني عن قوله تعالى: «الخيطُ الأبيضُ مِنَ الخيطِ الأسْوَد»[1]، قال: بياض النهار من سواد الليل وهو الصبح إذا انفلق، أما سمعت قول أمية:

الخيطُ الأبيضُ ضوء الصبح منفلق والخيط الأسود لون الليل مكروم[2]

ونرى من خلال بعض هذه الأمثلة التي أوردناها أن أسئلة نافع بن الأزرق تدور جميعا حول ألفاظ غريبة مِنَ القرآن، وهي حقا ألفاظ مِنْ غرائب القرآن التي لا يفهمها جمهور الناس مِنَ المسلمين، ولا يدركها إلا الراسخون في العلم مثل الصحابي الجليل عبد الله بن عباس الذي كان يسمى «حَبْر الأمة» لعلمه الواسع كما ذكرنا آنفا. ونرى كذلك أن التفسير الذي يورده عبد الله بن عباس لهذه الألفاظ الغريبة لا يتعدى شرح معانيها الغامضة وإيراد الشواهد من الشعر القديم الذي يوضح هذه المعاني.

وقد سار عبد الله بن عباس على هذه الوتيرة في التفسير، ولم نره يتعدى ذلك إلى الوقوف عند معاني كامل الآيات التي وردت فيها هذه الألفاظ الغريبة، ونعني بذلك أن تفسيره كان تفسيرا لغويا محضا، موجزا محضورا على إيضاح ما غَمُضَ معناه مِنْ ألفاظ آيِ القرآن الكريم.

على أننا نرى من جهة أخرى في مسائل نافع بن الأزرق لغرائب القرآن، وتفسير عبد الله بن عباس لها شرحا لغرائب شعر العرب القديم، ذلك أن تفسير ابن عباس لقوله تعالى: «وحَنَانا مِنْ لدنا»[3]، أي رحمة، هو شرح لقوله طرفة بن العبد: «حنانيك»، ونعني أن كلمة "الحنان" في الآية، وفي الشعر بمعنى الرحمة.

(1) سورة البقرة، الآية 186.

(2) ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق ودراسة عبد الحافظ السلطي، دار دمشق، الطبعة الثانية 1977، ص 483.

(3)سورة مريم ، الآية 12.

وهكذا يمكننا أن نقول إنّ أقوال ابن عباس في تفسير مسائل نافع بن الأزرق في غرائب القرآن هي في الوقت نفسه شرح لغرائب شواهد الشعر التي أوردها. وعلى هذا يمكننا أن أقوال ابن عباس في هذا السبيل البادرة الأولى، أو الشرارة الأولى، وعناية المفسرين المسلمين بشعر العرب القديم وفهمه وشرحه.

ولقد سار المفسرون بعد ابن عباس على طريقته في الاستعانة بالشعر القديم على تفسير غرائب ألفاظ القرآن وتركيبه، وخير مثال نذكره في هذا المجال هو كتاب: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة 210 هـ.

مساهمات أبي بن المثنى والفرّاء و ابن قتيبة

كلمة المجاز عند أبي عبيدة تعني المعنى العام لكلمة تفسير ، فهو يستعمل في تفسيره لألفاظ القرآن قوله : مجازه أو معناه أو تفسيره أو تأويله، أو يستعمل كلمات أخرى مثل قوله : أي، يريد ، ولا علاقة لكلمة «المجاز» عنده في هذا الكتاب بالمعنى الاصطلاحي لكلمة «المجاز» عند البلاغيين العرب في علم البيان.

وكان اهتمام أبي عبيدة منصبا خاصة على الناحية اللغوية في تفسير آي القرآن الكريم، فهو يقف كثيرا عند الألفاظ الغريبة، ويذكر مجازها أي تفسيرها، ويستشهد على ذلك بشواهد من الشعر العربي القديم.

ونلاحظ في هذا المجال أنه كان يكثر من الاستشهاد بالشعر، وهو بعمله هذا كثير الشبه بتفسير عبد الله بن عباس لغريب القرآن كما رأينا. ونذكر مثالا على ذلك قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[1]، مجازه مجاز فعّال من التأوّه، ومعناه متضّرع شفقا ولزوما لطاعة ربه، قال المثّقب العبدي:

(1) سورة التوبة، الآية 115.

إذا مـــا قـــمتُ أرحلهـــا بلـيـل تـأوّه آهـــة الـــرجـــل الحـــــزين[1]

و أيضا في قوله تعالى : «**إنّه بهم رَؤُوفٌ رَحِيم**»[2]، فعول من الرأفة وهي أرق الرحمة، قال كعب بن مالك الأنصاري:

هـو الرّحْمَـــنُ كـان بنـَا رَؤوفـا[3] نُطيـــعُ نبيّنَـــا ونُطيـــعُ رَبـّا

على أن أبا عبيدة يتجاوز أحيانا صنيع ابن عباس، ويزيد في التفسير، فيفسر بعض أساليب كلام العرب واستعمالاتهم الخاصة في التعبير. مثال ذلك قوله تعالى : «**فَصِيَامُ ثلاثةِ أيّامٍ في الحَجّ وسَبْعَةٍ إذا رَجَعْتُمْ تلكَ عَشَرَةٌ كَامِلة**»[4]، فالعرب تؤكد وقد فرغ منه، فتعيده بلفظ غيره تفهيما وتوكيدا» [5].

فهو هنا – كما نرى – يبين لنا سبب قول الله تعالى: ﴿**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**﴾، وهو التفهيم والتوكيد. فالعشرة هي جمع ثلاثة وسبعة، ولم يكن ذكرها اعتباطا من غير فائدة بل لفائدة وهي توكيد الكلام، وهذا تفسير أسلوب من كلام العرب.

وعلى خلاف عبد الله بن عباس، قد يتعرض أبو عبيدة في كتابه لبعض المسائل النحوية التي تتسم بالغرابة أو ندرة الاستعمال في كلام العرب، ويستشهد على ذلك بشواهد من الشعر القديم كما رأيناه يفعل في تفسير الألفاظ الغريبة.

---

(1) البيت من قصيدة له في المفضليات للمفضل بن محمد بن يغلى الضبي، تحقيق وشرح: محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون بيروت، الطبعة السادسة، ص288 .

(2) سورة التوبة، الآية 118.

(3) ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى: 1386هـ/ 1966م ، ص236.

(4) سورة البقرة، الآية 195.

(5)أبو عبيدة المثنى التيمي، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد شركين، الطبعة الأولى 1374هـ/ 1954 م، دار النشر محمد سامي أمين الخانجي الكتبي ، مصر، 1347هـ/ 1954م : 1/ 70.

ويمكننا أن نذكر في هذا السبيل كتابا آخر و هو كتاب: «معاني القرآن» لأبي يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة 207هـ المعاصر لأبي عبيدة، وهو عبارة عن تفسير لمعاني القرآن الكريم، ولا سيما الإعراب فيه الذي يسهب فيه ويستدل على كثير منه بشواهد من الشعر العربي القديم.

على أنّ الفراء لا يكثر من الاستشهاد بالشعر، ونعني أنه لا يأتي بشاهد من الشعر عند تفسيره لكل آية مِنْ آيِ القرآنِ الكريم، ويسلك في شرحه لبعض غرائب الألفاظ مسلك أبي عبيدة، كما في المثال الآتي في قوله تعالى: «**وقالتْ هيتَ لك**»[1]، قال: حدثني ابن أبي يحيى عن أبي حبيب عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ «هيت»، ويقال إنها لغة أهل حوران سقطت إلى مكة فتكلموا بها.

أما أهل المدينة فيقرؤون «هيت لك» بكسر الهاء ولا يهمزون[2].

وذكر عن علي بن أبي طالب: وابن عباس أنهما قرآ (هيت لك) يراد بها: تهيأت لك، وقد قال الشاعر:

إن العِـــرَاقَ وأهلـــه *** سَـلَمٌ عليـك فهيـت هيتـــا» [3]

فالفراء هنا يعمد إلى شرح كلمة (هيت) في الشاهد الشعري شرحا لغويا فحسب، ولا يتعداه إلى شيء آخر مما ألفنا لديه، وهذا الصنيع قليل عند الفراء، سواء فيما يخص الشرح اللغوي، أو شرح المعنى العام للشاهد الشعري.

وعلى ضوء هذه الأمثلة التي أوردناها، نستخلص أن الفراء يهتم بالقضايا النحوية، و منها إعرابه ما جاء في آيِ القرآن الكريم، ويطيل في بيانها، ولا يستدل على

(1) سورة يوسف ، الآية 23.

(2)معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، وأساتذة آخرون، القاهرة 1955: 2/ 42.

(3)البيت ورد في معاني القرآن للفراء: 2/ 42.

ما يقدمه إلا بقليل من الشعر القديم، ولهذا لم يبلغ اهتمامه بالشعر في كتابه مبلغ اهتمام أبي عبيدة بالشعر في كتابه مجاز القرآن.

وجاء بعد أبي عبيدة الفراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة 276 هـ، فوضع كتابا في تفسير المشكل من آيات القرآن وسمّاه "تأويل مشكل القرآن"، وقد حذا فيه حذوهما في تفسير غرائب ألفاظ القرآن ومعانيه، ولاسيما الآيات التي تشكل على الفهم، وجرى كذلك مجراهما في الاستشهاد بشعر العرب القديم، وكان يعني بشرح المعاني خاصة في آي القرآن، وفي شواهد الشعر، مثال ذلك قوله جل ذكره: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[1]، يريد أن سافك الدم إذا أقتصّ منه ارتدع من قتل من كان يهم له بالقتل، فكان في القصاص حياة[2].

وأخذه الشاعر فقال:

أبلغ أبا ملك عني مغلغلة[3] *** وفي العـاب حياة بيـن أقوام

يريد أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب، فكفوا عن القتال وكان في ذلك حياة.

ونذكر مثالا آخر من الكتاب لتأكيد بيان ما ذكرناه وهو عناية ابن قتيبة بشرح المعاني في الآيات وشواهد الشعر معا، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الصافات/ 93]، لأن في اليمين القوة وشدة البطش، فأخبرنا عن شدة ضربه بها، قال الشماخ:

(1)سورة البقرة، الآية 178.

(2)ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح وتحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه د.ت. ص5.

(3) البيت أول أربعة أبيات لهمام الرقاشي في البيان والتبيين2/ 136، وهي في عيون الأخبار 1/ 91-92 منسوبة لأبي القمقام الأسدي، وهي في العقد الفريد 1/ 69 منسوبة لهشام الرقاشي.

إذا مـــا رايـة رفعـت لمجـد ** تلقـاهـا عـرابـة اليميـن[1]

أي أخذها بقوة ونشاط[2].

(1) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني: تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر 1968.

(2) تأويل مشكل القرآن، ص: 188

الخاتمة

يمكن أن نقول في الختام إنّ دور الشعر في تفسير القرآن الكريم قد برز منذ عصر الصحابة حيث جعلوه مصدرهم الأول في فهم ما التبسَ عليهم من معاني القرآن الكريم، وذلك انطلاقا من معرفتهم بالعلاقة الوثيقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم، فالشعر العربي القديم هو المصدر الأول الذي اعتمد عليه كل المفسرين في تفسير القرآن وبيان معانيه وتوضيح غوامضه وتفسير غريبه. وهكذا فإنّ معظم العلماء الذين فسروا القرآن الكريم في العصور التالية قد اتبعوا هذه الطريقة نفسها في تفاسيرهم، ونعني لجوءهم إلى الاستشهاد بشواهد من الشعر العربي القديم، على تفاوت بينهم في الإكثار أو الإقلال من الشواهد.

قائمة المصادر و المراجع

- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان الطبعة الأولى: 1988.

-ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن، شرح وتحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه، د.ت.

- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت .

- ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، تحقيق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة د.ت.

- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، شرحه وخرّج أحاديثه عبد الله درّاز ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2004 .

- أبو بكر الأنباري، شرح القصائد الطوال الجاهلية، دار المعارف بيروت، 1963.

- أبو عبيدة المثنى التيمي، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد شركين، الطبعة الأولى 1374هـ/ 1954 م، دار النشر محمد سامي أمين الخانجي الكتبي، مصر، 1347هـ/ 1954م.

- أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

- أحمد شمس الدين الحجاجي، الأسطورة والشعر العربي: المكونـات الأولى، مجلة فصول، العدد:2 ، 1984.

- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة.د.ت.

- حسين شعيب، العرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، 2004

- حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1995.

- ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق ودراسة عبد الحافظ السلطي، دار دمشق، الطبعة الثانية 1977.

- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني: تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر 1968.

- ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق سامي مكي العاني، مكتبة النهضة ، بغداد، الطبعة الأولى، 1386هـ/ 1966م.

- ديوان طرفة بن العبد البكري بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق دربة الخطيب ولطفي الصقال، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت 1975.

- الزبيدي توفيق، مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية ، الطبعة الثانية، 1987.

الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1985.

- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى. د.ت.

- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، الجزء الثاني، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة عشر. د.ت.

-طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، د.ت.

- عبد الرحمان الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن، مكتبة دار المنهج، المملكة العربية السعودية، الرياض الطبعة الأولى 1431 هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، بيروت، 1986.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى د.ت.

- المفضل بن محمد بن يغلى الضبي، المفضليات، تحقيق وشرح: محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون بيروت، الطبعة السادسة، د.ت.

- معاني القرآن، يحيى بن زياد الفرّاء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، وأساتذة آخرون، القاهرة 1955.

- يحيى شامي، شرح المعلقات العشر، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1994.